برنامج ابن سعود لتطوير المملكة العربية السعودية(*)

رتشارد . سانجر(١)

Richard H. Sanger

ترجمة : د. محمد بن منصور أبا حسين

قسم اللغة العربية – كلية الآداب

جامعة الملك سعود

لقد قرر الملك عبد العزيز بن سعود – حاكم قلب الجزيرة العربية المترامية الأطراف – أن يبدأ تحديث مملكته على جميع الأصعدة؛ فقد سعى في شبابه إلى استعادة مُلك أجداده، ووسَّع في رجولته مملكته، فصار معظم الجزيرة العربية من البحر الأحمر إلى الخليج العربي بعد قرون عديدة من تاريخها تحت سيطرة رجل واحد ، وعمل في كهولته على تطوير هذه المملكة التي حازها، وعلى تهيئة حياة أفضل لشعبه من خلال توظيف أفضل الوسائل الاقتصادية والزراعية الغربية، وتطبيقها على نحو لا يتعارض مع الأسس الدينية والتقاليد الاجتماعية.

إن ابن سعود مسلم سلفي ولديه تساؤلات عديدة عن الثقافة الغربية ، ومع ذلك فقد اتخذ قرارات متنوعة لتوطيد حكمه وسلالته

(*) هذه المقالة نشرت باللغة الإنجليزية في مجلة الشرق الأوسط في عام ١٩٤٧م .
Richard H. Sanger, "Ibn Saud's Program for Saudi Arabia". The Middle East Journal. V.1.366.1947. pp. 180 - 190.

(١) رتشارد سانجر موظف عسكري في الجزيرة العربية في مكتب الشؤون الإفريقية والشرق الأوسط في وزارة الخارجية الأمريكية . زار الجزيرة العربية في سنة ١٩٢٨م. وقام بزيارات متعددة إلى الشرق الأوسط خلال الفترة الواقعة بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية . وزار اليمن بصحبة الجنرال وليم أ. إدي، الوزير المفوض الأمريكي في المملكة العربية السعودية في سنة ١٩٤٦م . وكان هدف الزيارة إلى صنعاء إقامة علاقات دبلوماسية مع اليمن .

الحاكمة ، ومساعدة شعبه وتحسين أوضاعهم في هذه الصحراء العربية الشاسعة ؛ فقد درس لسنوات عديدة إمكان تطبيق بعض جوانب الحضارة الغربية ، وقرر بعد التفكير العميق الشروع في إدخال تغييرات اقتصادية تضاهي التغييرات السياسية التي أنجزها . ومع أن الأمور تسير ببطء في الشرق الأوسط ، فقد كان ابن سعود مصممًا على تنفيذ مشاريعه المهمة على الرغم من معارضة مستشاريه المحافظين . وتكشف القصة التالية التي غالبًا ما يُستشهد بها عن أسلوبه في تطبيق خططه ؛ فقد تمكن من إقناع معارضيه لإنشاء محطات (اللاسلكي) التي رأى فيها فائدة لعملياته الحربية ووحداته الأمنية المتناثرة على مساحات شاسعة قليلة السكان ، تقارب في حجمها مساحة شرق المسيسيبي في الولايات المتحدة الأمريكية ؛ فقد اعترض كبار مستشاريه على هذه البدعة قائلين : إن (اللاسلكي) من عمل الشيطان ؛ لأنه ينقل الكلمات عبر الهواء ؛ ولكن ذلك لم يثن عزمه ، فجمع الملك مستشاريه ، وطلب منهم الاستماع إلى القرآن مرتلاً عبر (اللاسلكي) ، وبهذا حاز على رضاهم ؛ لأن دينهم ينص على أن الشيطان لا يمكن أن ينطق الآيات القرآنية أو ينقلها مهما حاول من طرق شتى .

لقد أتاح الاستقرار السياسي والاقتصادي في المملكة خلال السنوات العشرين الماضية للملك أن يحقق رغبته في تطوير بلاده ؛ فبدأ في تطوير المصدر الطبيعي الأول في المملكة . وبجهود شركة النفط الأمريكية (أرامكو) التي حصلت على امتياز حق التنقيب عن النفط في المنطقة الشرقية صارت المملكة خامس مصدر نفطي في العالم ، فمنذ سنة ١٩٤٠م مرت الأراضي المحاذية لجزيرة البحرين بتحولات مدهشة ؛ فثمة ما يزيد على ألف وخمسمئة أمريكي يعيشون هناك ، ويعدّ هذا العدد أكبر التجمعات الأمريكية خارج الولايات المتحدة ، ويسكن هؤلاء في عدد من المدن المكيفة التي تُعدُّ

الظهران أكبرها مساحة . وبدأت ثلاثة حقول نفطية – أكبرها حقل بقيق – بإنتاج النفط ، وتربط هذه الحقول شبكة من خطوط الأنابيب بمصافي التكرير في رأس تنورة الواقعة شمال الظهران ، وبمصافي التكرير في البحرين عبر أطول خط للأنابيب تحت الماء في العالم ، ويبلغ ما تنتجه هذه الحقول أكثر من مئتي ألف برميل يوميًا ، وهي كمية آخذة في الازدياد السريع ، كما أُنشئَ رصيف يمتد في أعماق الماء لرسو السفن . وبالإضافة إلى ذلك بُدئ بإنشاء خط أنابيب يبلغ قطره ثلاثين إنشًا ، ويمتد على مدى ألف ومئة ميل من الظهران إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط .

لقد كشف تدفق أعظم مصدر للثروة الطبيعية في المملكة إلى الأسواق العالمية عن الحاجة الماسة إلى مهارات جديدة ، وأتاح فرصًا عديدة لشعب الجزيرة العربية لتحقيق حياة أفضل ؛ فهناك سبعون ألف عامل يعتمدون – بالإضافة إلى عائلاتهم في توفير معيشتهم اليومية مباشرة – على عمليات استخراج النفط التي تقوم بها شركة أرامكو ، ويحصلون على مرتبات بعد أن كانوا لسنين قليلة ماضية بدوًا يعيشون عيشة الكفاف بالقرب من منابع المياه في منطقة الأحساء .

لقد كشف تدفق أعظم مصدر للثروة الطبيعية في المملكة إلى الأسواق العالمية عن الحاجة الماسة إلى مهارات جديدة

وصار لدى المملكة لأول مرة في تاريخها عدد كبير من العاملين في حقول النفط . فحينما كان الجَمَّال في الماضي يُعدُّ محظوظًا إذا حصل على (٩٠) ريالاً في الشهر ، فإن معدل دخل العامل في الوقت الراهن الذي أمضى سنة مع شركة أرامكو يبلغ (١٢٠) ريالاً . ومع استقرار البدو وتأقلمهم مع العمل اليومي بدؤوا يطمحون إلى أشياء لم يحلموا بها من قبل. وهكذا تحولت المساكن المقامة من القش وسعف النخيل التي وفَّرتها شركة النفط إلى مبان من الطوب مزودة بالماء والكهرباء والمعلبات والمقتنيات التي كانت فيما مضى مقصورة

على قلة من الأغنياء. ويدير هؤلاء العمال مهنيونَ كشفوا عن قدرات ميكانيكية مُدهشة، فمنهم الميكانيكي والمتخصص في تركيب الأنابيب، ويتقاضى الواحد منهم (١٨٠) ريالاً في الشهر، ويتطلعون إلى الحصول على مساكن أفضل ، وملابس أحسن ، وأغذية أجود مما يحصل عليه إخوانهم ذوو المهارات الأقل. وينتمي إلى هذه المجموعة أصحاب القمصان البيضاء كالمحاسبين والموظفين في مكاتب الشركة، ومعظمهم من منطقة الحجاز الذين أتيح لهم تعليم يفوق في نوعيته ما توفر لمنطقة نجد المعزولة ، ولمنطقة الأحساء المحاذية للخليج العربي .

وبمقدار الحاجة الملحة للبضائع والخدمات كان هناك تقديرٌ وإدراك لفوائد الطب الغربي ؛ فأنشئ مستشفى في الظهران وآخر في رأس تنورة، وأقيمت وحدات صحية في مناطق تجمع العمال. ونتيجة لهذة التغيرات برزت الحاجة الماسة إلى التعليم إلا أن تشدد البعض قلص درجة الرغبة لدى الناس إلى مجرد تعليم اللغة العربية قراءة وكتابة ، والتطلع للتحدث باللغة الإنجليزية، واكتساب بعض المهارات التقنية. وأدرك شباب البدو الأذكياء القاطنين حول حقول النفط أن دخل الميكانيكي يفوق ما يحصل عليه حامل المعدات الجاهل بمقدار ثلاثة أضعاف . ويتوقع أن تصل بعثة تعليمية من الولايات المتحدة، ومن الجامعة الأمريكية في بيروت في شهر إبريل من هذه السنة إلى المملكة العربية السعودية؛ للنظر في إنشاء مدارس لا تتعارض مع أسس التعليم الإسلامية . وسوف توفر هذه المدارس لأبناء أهل الأحساء وربما بعض بناتهم فرص التعليم لإعدادهم للعيش في عالم ميكانيكي سريع التطور .

وعلى أي حال فإن عمليات التحديث سوف تتجاوز في مسيرتها تطورات النمو الطبيعي الناشئة من تطور المصادر النفطية. فأهم ما حققته الثورة النفطية هو أن لدى الملك الآن أموالاً كافية للبدء في

تنفيذ برنامجه الطموح؛ فالعوائد المادية النفطية خلال السنوات الخمس القادمة ربما تزيد على (١٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار، وهو رقم قابل للزيادة السريعة. ولن يضطر الملك إلى الانتظار لتنفيذ خططه، فقد دعا في صيف ١٩٤٦م مجموعات متنوعة من المهندسين الأمريكيين والبريطانيين والعرب ، واستقبلهم بحفاوة وتكريم ، وناقش معهم مشاريعه الساعية إلى تطوير بلاده.

إن هناك الكثير من المشكلات والمشاريع التي تشغل بال الملك ، ويأتي في مقدمتها حاجة المملكة إلى ميناء بحري ؛ فعلى الرغم من أن سواحلها تمتد على مدى (٢٠٠٠) ميل ، فإنها تفتقر إلى مرفأ مناسب ؛ فميناء جدة الذي يمثل المرفأ الرئيس على البحر الأحمر يتحتم على السفن أن ترسو على بعد ميلين؛ بسبب سلسلة الصخور المرجانية، ثم يُنزل المسافرون والبضائع في قوارب صغيرة لنقلهم إلى الساحل، أما الموانئ الثلاثة الصغيرة - الوجه وينبع والليث - فمكتظة بمراكب الرهو الشراعية ، وليس لهذه الموانئ أرصفة حتى لرسو السفن البخارية. والحالة أسوأ على سواحل الخليج العربي. ففي الماضي تحتم إنزال المسافرين والبضائع في قوارب لنقلهم إلى السواحل، أما الآن فأقامت أرمكو منذ سنتين رصيفًا عند رأس تنورة يستوعب سفنًا عمقها (٤٠) قدمًا. ولكن عدد الناقلات النفطية مرتفع جدًا إلى حد أنه يتحتم على مجموعة منها الانتظار في عرض الخليج إلى أن يحين دورها لشحنها بالنفط ؛ ولذا فإن هذا الرصيف ليس متاحًا لسفن المسافرين والبضائع.

إن الملك ابن سعود مصر على فتح نافذة أو نافذتين ؛ لتطل بلاده منهما على العالم الخارجي ؛ إحداهما على البحر الأحمر ، والأخرى على الخليج العربي. ويتوقع أن يكون التطور على الخليج من نصيب قرية تقوم حياة سكانها على صيد الأسماك ذات حيطان بيضاء ومسجد، تعرف بالدمام، وتقع على ساحل خليج رأس تنورة الجنوبي ،

وتبعد عشرة أميال إلى الشمال الشرقي من المركز النفطي الظهران. ويشمل برنامج التطوير ردم المياه الضحلة بالحجارة والحصباء، وإنشاء سكة حديدية على رصيف يمتد ستة أميال في عمق الخليج؛ مما سيمكن ناقلات النفط عابرة المحيطات من الرسو بمحاذاته . وعلى بعد ألف ميل إلى الغرب يقام رصيف مماثل في جدة . كما سيتم بناء فُرضة فوق سلسلة الصخور والمياه الضحلة الواقعة جنوب جدة، وستردم الفُرضة ؛ لتمتد في أعماق البحر؛ مما سيمكن الحجاج النزول على السواحل الإسلامية العربية المقدسة ، ويُسهّل إنزال المواد الهائلة المستوردة على ساحل جدة ، ونقلها فيما بعد إلى مكة والمدينة والطائف وغيرها من المدن الواقعة في غرب المملكة العربية السعودية .

كما يهدف البرنامج التطويري إلى إنشاء محطة تحلية لتزويد جدة بالماء؛ إذ إنها في الوقت الراهن تحصل على حاجتها من المياه من آبارها الضحلة، ومن الآبار القريبة منها، ومن مجموعة الآبار الواقعة في واحة الوزيرية على بعد سبعة أميال من جدة، ومن محطة التحلية القديمة المتوقع توقفها عن العمل، ومن العبوات القادمة من مصر مع السفن البخارية التابعة للبريد الخديوي، وهي عبوات يستهلكها الأجانب. وبسبب نُدرة المياه النقية تنتشر في جدة أمراض مختلفة حتى في الأحوال العادية، وتزداد انتشارًا حينما يتضاعف عدد سكانها البالغ (٢٥٠٠٠) نسمة في مواسم الحج (*). وقد حدث خلال موسم الحج في سنة ١٩٤٥م نقص في الماء أدى إلى بعض الفوضى .

إن ثمة مصدرين محتملين للمياه لمدينة جدة ؛ الأول من آبار وادي فاطمة الخصب الواقع على بعد (٢٥) ميلا من البحر ، والآخر وادي عُسفان الواقع شمالاً على بعد ثلاثين ميلاً ، وقد تم مسح دقيق لهذه

(*) يصل عدد سكان جدة اليوم إلى حوالي مليوني نسمة (المعلق) .

الأماكن إلى جانب أماكن أخرى ، وسيكون في وسع جدة أن تحصل على مياه نقية كافية بحلول موسم الحج القادم.

كما أن جلالته حريص على أن تحصل مكة والمدينة على نصيبهما من المياه النقية والمجاري الحديثة والطاقة الكهربائية. إلا أن عدم السماح لغير المسلمين بدخول المدينتين يشكل عقبة في إنشاء الآلات الضرورية؛ وربما تم الاستعانة بالمهندسين المسلمين والعمال المهرة من البلاد الأخرى لإنجاز هذه المشاريع.

إنه من السهولة ملاحظة ما يكنه ابن سعود من اعتزاز بعاصمته الرياض، المحاطة بالأسوار الطينية التي استردها في سنة ١٩٠٢م ، ويبلغ سكانها الآن ما يزيد على تسعين ألف نسمة (*). ومع أنها مدينة كبيرة؛ فإنها تُضاءُ بالمصابيح والشموع وبعض المولدات الكهربائية التي تخص الملك وبعض الأفراد. ويشعر الملك أن محطة توليد كهربائية مركزية ستجعل الحياة ممتعة في الليل ، وستزيدُ كفاءة العاملين في الحكومة ، الذين غالبًا ما يُضطرون إلى العمل حتى وقت متأخر من الليل ؛ وذلك حينما يطالبهم الملك بذلك .

كما أن محطة التوليد الكهربائية ستتيح امتلاك المكيفات والثلاجات والمُجمدات التى ستغيِر نمط الحياة المنزلية والحكومية والتجارية في العاصمة. وإذا ما أُنشئت محطة كهذه فإنها ستوفر الطاقة أيضًا لما يزيد على ثلاثمئة بئر، تُمِدُّ الرياض بالماء، هذه الآبار يُستخرج الماء منها في الوقت الحاضر عن طريق الحمير والجمال ، التي تصعد وتهبط المنحدرات، جاذبة دلاءً مصنوعة من الجلود ومملوءة بالمياه، فيختلط صرير السواقي بتدفق المياه في إيقاع موسيقي رتيب.

كما يتضمن برنامج ابن سعود تحسين وسائل الري الزراعي مما سيفضي إلى إمكانات واعدة ؛ فالأمطار الهاطلة كل سنة على الجبال

(*) عدد سكان مدينة الرياض هذا الذي قدره المؤلف يعود إلى الأربعينيات الميلادية على حين يصل الآن عدد السكان بمدينة الرياض إلى ثلاثة ملايين نسمة (المعلق).

المحاذية للبحر الأحمر في الحجاز وعسير وعلى هضاب نجد يصل معدلها في بعض المناطق إلى اثني عشر إنشًا، وتأتي على شكل عواصف شديدة تُخلف فيضانًا مدمرًا. وقد كشفت الدراسات عن استفادة سكان الجزيرة العربية منها فيما مضى، فقد عثر على بقايا ستة سدود كبيرة في وادٍ حول الطائف ، وذكر المسافرون وجود سدود صغيرة في الجبال المحاذية للبحر الأحمر. ومع أن بعض الباحثين يميل إلى الاعتقاد بأنه تم التخلي عن هذه السدود؛ بسبب ندرة المياه فإنه من المحتمل أن يكون للتقلبات السياسية والحروب القبلية دور في إهمالها ، إلا أن إعادة بناء هذه السدود أمر سهل؛ ولو تم ذلك لأمكن زيادة المحاصيل الزراعية بمعدل ثلاثة أضعاف.

وتطرح قضية الري الزراعي في المنطقة الوسطى مشكلة أخرى ؛ فالأمطار المتساقطة على جبال طويق الغربية تتسرب تحت الأرض إلى أن تصل طبقة الصخور الجيرية التي تمتد تحت معظم ذلك الجزء الجغرافي من المملكة، ثم تجري شرقًا تحت أرضي نجد والأحساء إلى أن تصب في الخليج. وما زال صيادو السمك في جزر البحرين يحصلون على بعض مياههم العذبة من خلال الغوص من على ظهور مراكبهم ؛ إذ يملؤون أوعيتهم من ينابيع الماء العذب في الخليج العربي .

وفي الواقع فإن هناك عددًا من الحكايات عن أوعية وجرار خشبية فُقدت في آبار وسط الجزيرة، وعُثر عليها لاحقًا طافية في مياه الخليج. كما تساعد الآبار الأرتوازية البالغ عددها (٤٠) بئرًا واحة الهفوف العظيمة لتبقى خصبة ؛ إذ يفيض الماء عبر الفجوات المنكسرة في المنطقة الجيرية في الأحساء ، ويتدفق لري ما يزيد على مليوني نخلة. وتعد الرياض والدلم والزلفي وبريدة وعنيزة أمثلة أخرى للواحات التي تعتمد - في الحصول على حاجتها من المياه - على هذه الأنهار الجارية تحت الأرض.

وأكثر هذه الآبار تميزًا هي الأحواض التي يبلغ عرض الواحدة منها مئة ياردة ، وتقع حول الخرج ، وتشبه المحتجرات (مقالع الحجر) ، ولكنها في الواقع بحيرات مملوءة بالماء العذب والصافي ، وتشكلت من انكسار سطح الطبقة الجيرية ، ويبلغ عمق هذه الأحواض (١٥٠) قدمًا تحت سطح الأرض ، وساعد وجود هذا الماء على إقامة تجارب زراعية في الخرج، قامت بها حكومة الولايات المتحدة لتوفير الأغذية وخفض تكاليف شحن الأطعمة من الولايات المتحدة لجنودها أثناء الحرب العالمية الثانية . أما الآن فيدير المشروع خبراء الزراعة الأمريكية وتموله حكومة المملكة العربية السعودية ؛ فقد تحول مايقارب (٢٠٠٠) هكتار من الصحراء العطشى في الماضي إلى أراض خضراء ، وحقول مثمرة من القمح والبرسيم والمحاصيل الأخرى كالبطيخ والشمام والكوسة ، وثمار أخرى نجحت زراعتها كالخس والباذنجان والطماطم والقنبيط والبصل والجزر والبنجر والكرنب.

علق الملك بعد أن قام بزيارة إلى المشروع في الخرج قائلاً : "إذا أمكن تحقيقه هنا، فتحقيقه في أي مكان آخر ممكن". وهناك أسباب جيدة للتفكير في الإفادة من المياه المتسربة تحت الأرض شرقًا ، فتزيد مساحات الأراضي المزروعة الحالية بنسبة عشر مرات ، ويشمل برنامج الملك التطويري مسحًا شاملاً للمياه في المملكة وإصلاح السدود، وحفر آبار في أماكن معينة، وإقامة طواحين الهواء لرفع الماء، وإنشاء روافع للمياه تعمل بالديزل المتوفر في النفط غير المحدود ، والمتدفق من الرمال العربية ، وكل هذا من أجل إبقاء أودية نجد والأحساء مزدهرة .

ومع وجود عدد من المستشفيات المحلية فإنه قد اتضح للملك أن شعبه في حاجة إلى المزيد من العناية الطبية. وقد ذكرتُ آنفًا نجاح مستشفيات أرامكو ووحداتها الصحية على الساحل النفطي

بالإضافة إلى نجاح المستوصف التابع لمفوضية المندوب الأمريكي في جدة . ويُحزنُ الملك معرفة أن شعبه - الذي يعيش على مدى ألف ميل ما بين الظهران وجدة - لا يحصل على العناية الطبية الحديثة بسهولة. ولمواجهة هذه الحاجة فقد اشترى مؤخرًا أربعة مستشفيات مستعملة جاهزة من الجيش الأمريكي ، ويحتوي كل منها على (٤٠٠) سرير. وأربع محطات للجراحة، يحتوي كل منها على عشرين سريرًا مزودة بكل شيء ابتداء من طاولة العمليات وانتهاء بصحن التبول . وسيوضع أحدها في عاصمته الرياض ، وآخر في الطائف (المحطة الجبلية) الصغيرة والمتنامية والواقعة على ارتفاع (٥٠٠٠) قدم من سطح البحر والبعيدة (١٠٠) ميل عن جدة.

ولكن أقرب المشاريع إلى قلب الملك هو تحديث المواصلات في مملكته. ويروى أنه خلال اللقاء الأول بين الرئيس روزفلت وابن سعود على سطح سفينة في البحيرات المرة في شهر يناير سنة ١٩٤٥م، سأل السيد روزفلت عن طول الطرق الحديدية في المملكة ، فاعترف الملك متكدرًا بأنه بعد أن دمَّر تي.إي. لورنس طريق سكة حديد الحجاز خلال الحرب العالمية الأولى لم يبق قدم منها صالحًا للاستعمال ؛ فما زال الجمل يمثل أهم وسيلة للمواصلات حيث يتهادى ببطء عبر رمال المملكة ، ولا يزعج التجار قضاء أحد عشر يومًا في قافلة الجمال من الظهران إلى الرياض ، وعشرين يومًا من الرياض إلى جدة، وشهر من الكويت إلى مكة. وفي السنوات القليلة الماضية استورد الملك وبعض الأفراد (٢٣٠٠) شاحنة (لوري) (*)، ومعظمها صنعت قبل الحرب العالمية الثانية، ولا يعمل منها الآن سوى (١٥٠٠). وهي شاحنات قديمة شارفت على الخراب ،

أقرب المشاريع إلى قلب الملك هو تحديث المواصلات في مملكته

(*) قام الملك عبدالعزيز بشراء تلك الشاحنات للإسهام في نقل الحجاج أثناء موسم الحج من منطلق اهتمامه براحة المسلمين وتيسير أداء مناسكهم . (المعلق) .

وما زالت تلهث مصدرة صفيرًا حادًا، وتكاد تتساقط أجزاؤها لولا أسلاك تجمعها . وتنقل هذه الشاحنات القمح والأرز والسكر والتمر والأقمشة على الطرق الصحراوية غير الممهدة ؛ فالطرق المسفلتة في المملكة هي أربعون ميلا بين جدة ومكة. وربما عشرون ميلاً عبَّدتها أرامكو على الساحل النفطي، والطريق الذي أقامته شركة نقابة التعدين العربية السعودية المحدودة ما بين جدة ومهد الذهب. وقد حُسِّن ونُظِّف إلى درجة أنه يشبه مضمار سباق مقارنة بالدروب الأخرى.

تقع عاصمة الملك الرياض على جزيرة من التربة والحصباء، تحيط بها رمال متحركة يحدها من الشمال صحراء النفود، ومن الجنوب صحراء أكبر غير مطروقة، تُعرف " بالربع الخالي" ، ويشكل هبوب الرياح المستمر نهرين رمليين يتحركان باستمرار من النفود إلى الربع الخالى. ويعرف هذان النهران الرمليان بالدهناء. ويبلغ عرض الواحد منها (٢٥-١٠٠) قدم ، ويتشكلان من تلال رملية تتراوح في ارتفاعها مابين (٤٠-١٠٠) قدم ، ويتحركان جنوبًا عبر قاعدة صلبة مستوية من الحصباء بسرعة ثلاثين ياردة في السنة . وتعبرها السيارات ذات الإطارات المرتفعة والمزودة بآلات رملية أخرى. ويواجه إنشاء خط حديدي أو طريق مسفلت عبر الدهناء مشكلة هندسية هائلة ؛ ولكن الخبراء الذين درسوا المشكلة ميدانيًا يرون أن بناء وسيلة مواصلات أمر ممكن، كما حدث في كاليفورنيا أو الصحراء الكبرى الأفريقية.

ويظل السؤال قائمًا بشأن أيهما سيكون وسيلة للمواصلات ؛ فتكلفة بناء سكة حديد ستكلف أكثر من الثلث لو تم بناء طريق مسفلت، ولكن صيانة طريق السكة الحديد سيكلف فقط ربع ما تكلفه صيانة طريق مسفلت، وعلاوة على ذلك يحتاج القطار إلى إدارة أقل وعمال أقل خبرة مما يحتاجه أسطول من الشاحنات. كما

أن لابن سعود تجربة سيئة مع الشاحنات التي حطمها السائقون غير المهرة ، وخلخلتها الطرق الصحراوية والرمال المتحركة، وسُرقت بعضُ أجزائها . ونتيجة لذلك فضّل ابن سعود طريق السكة الحديد؛ لأسباب عملية واعتبارات رسمية ؛ فهو يريد وصل الرياض بالخليج عبر واحة الهفوف الخصبة، وعبر مدينتي النفط إبقيق والظهران، وبعد أن يتم إكمال هذا الخط يود أن يرى إعادة بناء طريق سكة حديد الحجاز ، وبعد ذلك يُربط هذان الخطان ؛ ليكونا خطًا واحدًا "عبر السعودية " .

وصل في أوائل نوفمبر سنة ١٩٤٦م وفد أمريكي من مهندسي المواصلات إلى المملكة للقيام بدراسة مفصلة عن فضائل سكة الحديد ، وفضائل الطريق الإسفلتي . ومهما يكن القرار فثمة شيء مؤكد هو أنه سيكون لدى ابن سعود خلال السنوات القليلة القادمة شبكة للمواصلات ، وسوف يشجع البدو الرحل على الاستيطان والاستقرار، وسيتمكن سكان نجد والأحساء والحجاز من الترحال والسفر، وسيتعرف بعضهم على بعض . ولن يحدث القحط في جزء من البلاد مجاعة ؛ للتبادل التجاري المتصاعد مع المناطق الأخرى ، أو للاستيراد من الخارج . وسوف تأخذ المملكة في التطور سياسيا واقتصاديًا معًا ، وسوف تزدهر الأعمال الحرفية البسيطة مثل صناعة الطوب التي بدأ أول المعامل في إنتاجه ، والإسمنت والزجاج والأقمشة والمصنوعات الجلدية وأدوات البناء ، وسوف توزع المنتجات المصنوعة بسهولة وسرعة يستحيل تحقيقهما في الوقت الراهن .

وسوف تتسارع عملية توحيد الجزيرة العربية من خلال تطوير الخطوط الجوية ، فقد وقّع الملك ابن سعود في أكتوبر سنة ١٩٤٦م عقدًا مع شركة الخطوط العالمية (TWA) لإعداد إدارة طائرة خاصة وصيانتها ، وستكون الطائرة التي أهداها روزفلت للملك سنة ١٩٤٥م نواة لأسطول جوي ؛ إذ سيلي ذلك خمس طائرات ابتاعها السعوديون

في القاهرة بالإضافة إلى طائرتين يتم شراؤهما الآن من الولايات المتحدة الأمريكية .

إنه من المتوقع أن تربط الخدمات الجوية الظهران بالرياض والطائف وجدة، وربما تتوقف في الخرج ومهد الذهب ، وأن تمتد الخدمات إلى القاهرة، وأجزاء أخرى من العالم الغربي ،

وحينما يعمل هذا الخط الجوي فستستغرق الرحلة البرية الشاقة بالسيارة الممتدة على مدى ثماني ساعات من جدة إلى الطائف (٤٥) دقيقة بالطائرة . وسوف تستغرق الرحلة الشاقة من جدة إلى الظهران الممتدة على طول خمسة أيام أقل من ست ساعات بالطائرة.

ثمة طريقتان تستهويان الملك لربط أجزاء مملكته ؛ الأولى : هي الهاتف الذي لايفارقه أبدًا طيلة العشر سنوات الماضية ؛ إذ يزمع الآن إقامة محطة هاتف محلية في المدن الرئيسة، يتم ربطها بعد ذلك بخطوط الهاتف الدولي، والثانية : هي اقتناعه منذ سنوات بأهمية الاستماع إلى أخبار الإذاعات العالمية ؛ إذ يقوم مترجمون موثوقون برصد الأخبار والبرامج الإذاعية المهمة من مختلف اللغات ، وتزويد الملك بتقارير على مدار الساعة، حتى وإن كان في خيمته الصحراوية في أوقات الأزمات. وقد وقّع الملكُ مؤخرًا عقدًا مع راديو ماكي (Mackay) لإقامة محطة إرسال قوية في جدة وإدارتها ، وحينما تُربط محطة الإرسال والبث بالرياض والظهران والمواقع المهمة الأخرى في المملكة فإنها ستهيئ اتصالاً مستمرًا مع العالم الخارجي.

إنّ هذه مُسوَّدةٌ أولية لبرنامج ابن سعود التطويري ؛ لكن إنجاز مشروع كهذا حتى في بلد غني بالنفط كالسعودية ليس متوقعًا قبل سنوات عدة . وحينما زار ولي العهد الأمير سعود - أكبر أولاد الملك البالغ عددهم ٣٧ - الولايات المتحدة في شهر يناير وفبراير من هذه السنة، كان هذا البرنامج على قائمة اهتماماته ، بالإضافة إلى رغبته

في الاطلاع على المنجزات الأمريكية التي يمكن تطبيقها في المملكة، وبخاصة خطط زراعة صحراء أريزونا ونيو مكسكو وجنوب كاليفورنيا التي حوّلها المزارعون الأمريكيون إلى أراضٍ خضراء مثمرة، هي مناطق شبيهة بمناطق المملكة .

ونظرًا لوضع المملكة العربية السعودية المناسب جدًا فإنه يمكن للأمريكيين تنفيذ سياسة تطويرية بناءة في الشرق الأوسط؛ إذ إن المملكة لديها استقرار سياسي ، ورغبة حكومية للتقدم ، وموارد مالية كافية. وخطط ابن سعود ذات رؤية وأهداف واسعة ستفيد المزارعين والبدو والتجار وسكان المدن. وتعد خططه معالم واضحة في تاريخ المملكة .

خطط ابن سعود ذات رؤية وأهداف واسعة ستفيد المزارعين والبدو والتجار وسكان المدن. وتعد خططه معالم واضحة في تاريخ المملكة